ماء الحيـــاة . . !

[مترجمة عن الإنجليزية من كتاب
[Grimm's Fairy Tales

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

فى قديم الزمان عاش ملك أضناه المرض حتى يئس من الحياة ، وكان له أولاد ثلاثة ، خرجوا إلى حديقة القصر ، وطفقوا يجهشون بالبكاء ، حزناً عليه . وبينما هم كذلك ، جاءهم شيخ وقور ، بلغ من العمر عتياً ، وسألهم عن سبب كآبتهم ، فأعلموه أن والدهم مشرف على الموت ، وما من حيلة تنفع فى شفائه . فقال الشيخ : « لكم فى شفائه ، طريقة واحدة فقط ، وهى أن تسقوه من ماء الحياة » .

فهب الولد الأكبر إلى والده الملك ، وطلب إليه أن يأذن له بالبحث عن ماء الحياة ، إذ هو المنقذ الوحيد من دائه العضال . فقال الأب : « لا بد لك يا بنى من تجشم الصعاب والأخطار فى سبيل الحصول عليه ؛ فأرح نفسك من هذا العناء » ولكن الابن ظل يلح عليه حتى أذن له . فذهب فى طريقه ، وهو يقول فى ضميره : « إن أحضرت الماء ، فسأكون حتماً أعز إخوتى لدى والدى ، وسيوصى لى بالمملكة من بعده » . وظل يهيم على وجهه ، حتى التقى به قزم وسأله : « إلى أين أنت ذاهب يا أخى ؟ » . فأجابه الأمير بلهجة تنم عما فى نفسه من الكبرياء : « هذا لا يعنيك !! » وتابع سيره . ولكن دبيب الانتقام دب فى صدر القزم : وبينما كان الأمير يجوس خلال ممر ضيق ، لاحظ أنه كلما تقدم فى الممر أخذ الممر يضيق به أكثر فأكثر ، حتى انتهى إلى نقطة لم يستطع فيها الحراك ... وانتظره والده طويلا ولم يرجع . وطلب

الزعيم « شكوكو » : [مهداة إلى أستاذنا العقيف]

إن المتجول فى أحياء القاهرة يرى باعة يحملون تماثيل للمغنى الشعبى الهزلى « شكوكو » فكأن الشعب المصرى يريد أن يقول بلسان الحال : إن زعماءنا خطبوا طويلا فنسى الشعب ما قالوا ، وغنيت أنت فحفظ الناس ما قلت وصنعوا لك التماثيل .

غن . وأسمعه أنغام الحرية ليصنع تماثيله للشهداء .

وردد على أسماعه ألحان الاتحاد ليؤلف بين الزعماء .

وابعث فيه سحر سلطانه ليفخر بأنه سيد الملوك والرؤساء وهزه بأنين أحزانه ليتحرر من هذا البؤس وهذا الشقاء .

وإنى أقسم لئن فعلت لتكونن أخطر على انجلترا وعلى أوضاعنا المقلوبة من ألف زعيم . لقد أكرمك الشعب يا صاحب التماثيل ، فهل أنت ممن يعرفون الجميل؟ فتحى السماحى محمد

إلى مؤلفى الكتب المدرسية:

لمناسبة انعقاد المؤتمر الثقافى العربى الأول بلبنان فى ٢ سبتمبر القادم للبحث فى توحيد اتجاهات الثقافة العربية والعناية بموادها وأساليب تعليمها فى نواحى اللغة العربية والمواد الاجتماعية فى مراحل رياض الأطفال والتعليم الأولى والابتدائى والمتوسط والثانوى .

يسر الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية أن تدعو حضرات المؤلفين ودور النشر والمكتبات فى جميع الأقطار العربية إلى الاشتراك فى هذا العرض ، بأن يرسلوا إليها :

أولا — نسختين من الكتب المؤلفة فى اللغة العربية بفروعها المختلفة لمراحل التعليم المتقدمة الذكر بما فى ذلك الكتب المختصة بتيسير الكتابة والنحو والبلاغة وغيرها .

ثانياً — نسختين من الكتب الموضوعة فى مواد التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية فى هذه المراحل التعليمية .

ثالثاً — الوسائل العلمية لتعليم فروع اللغة العربية المختلفة ووسائل لايضاح مادتى التاريخ والجغرافيا كالصورات والخرائط والمجسمات والأجهزة التى من صنع الأفراد ودور النشر والشركات .

وترجو إدارة الثقافة أن يصل إليها ذلك قبل منتصف شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٤٧ وأن يرسل باسم مدير الادارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية بشارع البستان بالقاهرة .

وسترد المعروضات لأصحابها بعد انتهاء المؤتمر عن طريق الادارة الثقافية ، إلا إذا شاء المؤلف إهداء النسختين أو إحداهما لادارة الثقافة بالجامعة العربية لحفظهما لديها تسجيلا لحركة التأليف المدرسى فى هذه المواد ، ورغبة فى التعريف بها ، وإشاعة الانتفاع منها فى أوسع نطاق .

الأمير الثانى من والده أن يأذن له فى البحث عن الماء ، إذ قال فى نفسه : « إن يكن أخى قد مات ، فسأرث المملكة بدلاً منه » . وظل يستعطف والده حتى أذن له فى الذهاب . فسار هذا فى أثر أخيه ، والتقى بالقزم نفسه . فابتدره القزم بالسؤال : « إلى أين أنت متوجه أيها الشاب ؟ » . فأجابه الأمير : « ليس من شأنك أن تعرف هذا أيها القزم الحقير ! » . ومضى فى طريقه . فاستعمل السحر معه ، وكانت عاقبته وخيمة كعاقبة أخيه من قبله ، إذ وصل إلى أخدود ، أراد أن يتقدم فيه فلم تطاوعه قدماه .

ولما لم يرجع الولد الثانى ، اضطرب فكر والده عليه . فتوسل الأمير الصغير إلى والده أن يسمح له بالذهاب ؛ فرأى الوالد نفسه مضطراً على إجابة طلبه . وعندما التقى القزم بالأمير الصغير ، وسأله عن طريقه ، أجاب : « إننى أبحث عن ماء الحياة ، إذ به وحده يستطيع والدى أن ينقه من علته » . فقال له القزم : « وهل تعرف مكان وجوده ؟ » فأجاب الأمير : « كلا ! » . فقال القزم : « إذاً سأدلك عليه لأنك سلكت معى سلوكا لائقاً ، مغايراً لسلوك أخويك المتعجرفين . إن ماء الحياة يتفجر من النبع الذى يجرى فى ساحة القلعة المسحورة ، تلك القلعة التى لن تستطيع اختراقها ، إن لم أعطك قضيباً من الحديد ، ورغيفين من الخبز . أما القضيب ، فاطرق به ثلاثاً على باب القلعة الحديدى فيفتح لك . وفى المدخل سترى أسدين فاغرين شدقيهما تستطيع أن تأمن شرهما ، بأن ترمى لكل منهما رغيفاً . ثم أسرع وأحضر قليلا من الماء قبل أن تعلن إشارة الوقت الساعة الثانية عشرة . إياك أن تتأخر ! لأنك إن فعلت فسيوصد الباب ولا تستطيع الخروج ! » .

فشكره الأمير ، وأخذ منه القضيب والرغيفين ، وجعل يطوى الأرض حتى حطت به النوى إلى القلعة المسحورة ؛ فعمل بموجب إشارة القزم . ودخل من الباب إلى قاعة جميلة واسعة ، حيث كان يجلس عدد من الأمراء المسحورين ؛ فنزع الخواتم التى تحلى أصابعهم ؛ وأخذ سيفاً مرهف الحد ، وقليلاً من الخبز المطروح هنالك . ثم دلف إلى الغرفة المجاورة ؛ وإذا به أمام فتاة فاتنة تتموج كالطيف ، نظرت إليه من وراء جفون ترتعش بالميل والانعطاف ؛ ثم أخبرته أن مملكتها ستؤول إليه ؛ وإذا ما رجع إليها بعد سنة كاملة ، فسيزف إليها ويعيش معها سعيداً موفوراً . ثم دلته على موقع النبع الذى يجرى منه ماء الحياة . ورأى فى الغرفة المجاورة سريراً مريحاً استلقى عليه لأنه كان متعباً ؛ واستسلم لنوم هادىء عميق . ولكنه استفاق على صوت الساعة ، عند ما أعلنت الثانية عشرة إلا الربع ؛ فأسرع إلى النبع ، وملأ كوباً صغيراً كان موجوداً هناك بالماء . ثم أسرع الخطو إلى الباب ؛ وما كادت رجله تطأ العتبة ، حتى دقت الساعة معلنة الثانية عشرة تماماً ؛ فأوصد الباب بقوة عظيمة جداً ، أطارت قطعة من كعب حذائه وهو خارج .

وبالرغم من كل هذا ، فقد كان مسروراً لنيله أمنيته . فعاد أدراجه إلى القصر ، والتقى فى الطريق بصاحبنا القزم . غير أنه لم يكن راضياً عن الرجوع إلى القصر دون أخويه ؛ ولذا سأل القزم أن يدله عليهما . فأجابه قائلا : « إن أخويك محصوران بين جبلين عقاباً لهما على كبريائهما ؛ أولم تسمع أن عاقبة الكبرياء وخيمة ؟! » فألح الأمير على القزم بتلبية طلبه حتى فعل ذلك ، إلا أنه حذّر الأمير من أخويه ، إذ يضمران له السوء ولا يقيمان للأخوة وزناً .

وعندما رجع إليه أخواه ، أخذ السرور يتموج على قسمات وجهه ، فقص عليهما تفصيل ما حدث . وركب كل من الأمراء الثلاثة جواده ، حتى وصلوا إلى مملكة كبيرة ، أضنى الجوع والحرب السواد الأعظم من سكانها ، وأيقن ملكها أن لا مهرب له من الاغتيال . فذهب الأمير الصغير إلى هذا الملك ومد إليه يد المعونة فاستطاع الملك أن يسد جوع السكان ، وأن يرد الأعداء على أعقابهم خائبين . وبعد أن تم له ذلك أخذ الأمير السيف وما بقى من الخبز وركب مع أخويه حتى وصلوا إلى مملكتين أخريين ، فعل فيهما الجوع والحرب فعلته الشنعاء كما فى المملكة الأولى . وبالطريقة نفسها رد الأمير عادية الدمار عن هاتين المملكتين .

ثم ركبوا السفينة يؤمون مسقط رأسهم . وفى ذات ليلة ، انثالت على أحد الأخوين الأكبرين الخواطر السود ، إذ قال للآخر : « لقد حصل أخونا الصغير على ماء الحياة ؛ وهذا يعنى أن والدنا سيورثه المملكة ، وسيقضى على حظنا وأمانينا ! ! » . فاضطرمت فى صدريهما فكرة الانتقام ، وتآمرا على اغتيال أخيهما . وبينما كان نائماً فى ذات ليلة ، أفرغا ماء الحياة من كوبه ، وملآه بدلا من ذلك بماء شديد الملوحة . ولدى أوبتهم لقصر أبيهم تناول

الأمير الصغير الكوب ، وقدمه لأبيه ؛ وما كاد الوالد يرشف جرعة منه حتى اشتدت عليه وطأة المرض ، وساءت حالته ، وبينما الوالد كذلك جاء الولدان الآخران وأخذا يتقولان على أخيهما ويتهمانه بتسميم الماء . ثم قدما لأبيهما ماء الحياة الحقيق ؛ وما كاد يرشف قليلا منه حتى تعافى ، وأخذ وجهه يتلألأ بالنضارة والنشاط كأنما عاد إلى صباه . وذهب الأخوان الأكبران إلى الصغير وخدعاه بقولهما : لقد حصلت في الحقيقة على ماء الحياة ولكن بما أنك فرطت في الحيطة والحذر ، فلقد أفرغنا الماء من كوبك دون أن تدري ؛ وزيادة على ذلك فسيحاول أحدنا في غضون هذه السنة أن يستولى على قلب أميرتك . ولكن حذار من أن تخوننا ؛ وإلا فلن نتردد في القضاء عليك ! وإنك تعلم أننا لا نوعد إلا نحقق الوعيد ! ! » .

وما كان من الأخوين إلا أن أوغرا صدر والدهما عليه حتى أصدر الحكم بقتله ؛ فأمر صياده الخاص بتنفيذه ، وبعد أن توغل الأمير والصياد في الغابة ، لاحت أمارات الحزن على محيا الصياد فسأله الأمير عما به ؛ فأجابه الصياد : « من المفروض على أن لا أجاهرك بالسر ؛ ولكني أراني مدفوعاً إلى الإفضاء به ، من تلقاء عاطفتي وشفقتي عليك ! » . فقال له الأمير : « قل بشجاعة ماتشاء فليس عليك من بأس ! » . فأجابه الصياد ، مصعداً زفرة عميقة : « لقد عهد إليّ والدك الملك بقتلك ! » . فاعترى الحزن الأمير آنئذ ، وقال والخوف يكاد يعقل لسانه : « أناة أيها الصياد ! إن روحي عزيزة علي ، فارحمني يرحمك الله ! » . وقرت في نفسه فكرة التنكر بزي الصياد ، ففعل . وقفل الصياد راجعاً إلى القصر ؛ أما الأمير فتوغل في الحرج ...

وبعد مدة قصيرة ، وردت ثلاث عربات مثقلة بالذهب والحجارة الكريمة إلى قصر الملك ؛ وقدمتها الملوك الثلاثة للأمير الأصغر ، اعترافاً بفضله عليهم عند ما أعطاهم السيف الذي هزموا به الأعداء ، والخبز الذي ردوا به عادية الجوع الفاتك . وتجاوبت في نفس الملك آنئذ أصداء فكرة فقال : « لعل ابني يكون بريئاً ؟ ! » وعض بنانه من الندم على إعدامه . ولكن الصياد كان في حضرته فصرخ بحدة قائلا : « إن ابنك لا يزال حياً يا مولاى ، إذ لم يطاوعني قلبي على تنفيذ أمرك ! » . وقص عليه ما جرى . فسرى عن الملك ، وتقشعت آخر سحب الكآبة عن وجهه ، وأمر بأن ينادى في طول البلاد وعرضها بأنه قد سمح لابنه بالعودة إلى كنفه.

وفي ذلك الحين كانت أميرة القلعة المسحورة ، قد أمرت أن تفرش الطريق إلى قلعتها بالذهب الخالص الوهاج ؛ وأمرت حشمها أن يسمحوا بالدخول فقط لمن يمشي على الذهب ، وأن يرجموا كل من يطرق جانب الطريق . وعندما حان الوقت الذي ذكرته الأميرة لعريسها المنتظر ، طافت في نفس الأمير الأكبر الذهاب إلى القلعة ، والإعلان بأنه عريس الأميرة . فامتطى جواده يؤم القلعة ؛ وعندما وصل على مقربة منها ، ورأى الطريق الذهبية أشفق أن يمشي عليها ؛ ولذا جنح إلى الجهة اليسرى وعندما وصل إلى الباب أشار الحراس عليه أن يعود أدراجه . وبعد ذلك ، ركب الأمير الثاني في طريقه إلى القلعة . وعندما خطا جواده على الطريق بقائمتيه الأماميتين خشي أن يمشي فوقها ، ولذا جنح إلى الجهة اليمنى ولدى وصوله إلى الباب ، رفض الحراس أن يدخلوه ، وأمروه أن يرجع من حيث أتى : وأما الأمير الصغير الذي ظل طوال هذه المدة يجول في الأحراج مهدهداً آماله بالصبر ، فتذكر أن الوقت قد أزف ؛ ولذا ركب جواده ومشى على الطريق الذهبية وعندما بلغ الباب انفتح له على مصراعيه ، واستقبلته أميرة القلعة بكل ترحاب . وبعد مدة قصيرة احتفل بزواجهما احتفالا رائعاً ؛ ثم أخبرت الأميرة زوجها أن والده قد عفا عنه ، وأنه جد مشتاق لرؤيته : فذهب في الحال إلى أبيه ، وقص عليه كيف خانه أخواه وكيف هدداه بالقتل إن باح لأحد بشيء مما فعلاه . ولما اطلع الملك على جلية الأمر عزم على معاقبة الأخوين . فلما علما بذلك لم يبق أمامهما إلا أن يهجرا البلاد إلى غير رجعة

القدس كلية تراسانطا — صابر فرحات سعيد

يظهر في الأسبوع المقبل :

تاريخ الأدب العربي

في ٥٤٤ صفحة